

أسد + غر = ؟ !

قصة أمريكية

بقلم الأستاذ محمد عصمة

دوحة عظيمة ... ولم أجزع أيضاً
وكثيراً ما وقفت أمام الموت وجهاً
لوجه دون أن يخطر الخوف لي على بال .
أجل يا سادتي ! هذا هو الواقع وجميع
معارفي وأصحابي يملون ما أنا عليه من
البسالة ومثانة القلب في مواقع الصيد
ومعارك القنص ، ولا يمكنني إحصاء

مواقفي التي أبدت فيها من ضروب الشجاعة ما يميز
عنه غيري من الزملاء . ولكن هذا لا يمنني من
مرد حادثة وقعت لي إبان الشباب وكادت تقضي
على حياتي أو تذهب بعقلي - على الأقل - من
شدة الرعب

وصمت الرجل فجأة وغاص في لجج من الأفكار
وكان ينظر حينئذ إلى مكان قصي كأنه يريد سبر غور
السنين البعيدة الخالية بمينيه الزرقاوين ثم شرع
يدخن وينفث الدخان إلى فوق ، وكانت الحانة غاصة
بالشاريين ، وكنت تسمع بين الفينة والفينة رنين
الكؤوس وضجيج السكراري وتضاحيك الفوانيد إلا أن
السكون شمل المكان وأنصت الجميع كأن على
رؤوسهم الطير واشترأت الأعناق لسماع حديث
السائح ، وبدأ القوم ينتظرون القصة بشغف وشوق
وسم أحد الحاضرين هذا الصمت الطويل
ولم يمالك نفسه فجعل يستحث المحدث قائلاً :

- أتكرم يا مستر (لاندون) وتقص علينا
ما جرى لك ؟

رفع السائح رأسه وتفرس في الوجوه من جديد
كمن كان ينتظر هذا السؤال ، ثم بدأ حديثه ببطء
وبصوت هادي :

- كنت إذ ذاك ضمن حدود (نوادا) وكنت

أشمل الجواب المشهور والصيد البار (هاري
لاندون) لفافته الضخمة وقال :

- إن مغامراتي كثيرة جداً ...

ثم تنحنح وتفرس في وجوه الحاضرين ليري
مبلغ انتباههم لحديثه . ثم استطرد :

- ومن حسن حظي أنني نجوت من كل
ما أحاطني من الأخطار الجسيمة ، ولعلكم تتساءلون
أيها السادة : هل كنت جباناً رعديداً أم شجاعاً
صنديداً ... أليس كذلك ؟

لقد حدث ذات يوم أن اعتقلني الهنود الحمر ،
وأنتم تعلمون كراهيتهم ومقتهم للجنس الأبيض .
تصوروا أنني قضيت ليلة سجيناً في أحد أكواعهم
بينما كانوا يرقصون مهللين حول النار استعداداً
لإعدائي في الغد الباكر ، وفي الصباح ساقوني إلى
الغابة باحتفال مهيب حضره كل أفراد القبيلة وهموا
بتمزيق شر ممزق ، ولولا إصرار أصدقائي لنجذني
بينادقهم بمد أن يمحشوا عني طيلة الليل ، لأصبحتُ
أترأ بمد عين ... ولكن الآن في عداد الأموات .
وربما تمجبون إذا قلت لكم إن كل ذلك حدث دون
أن أضيع رباطة جأشي

وفي مرة أخرى بينما كنت أخترق غابة كثيفة
مشتبكة الأغصان ، وإذا بأفعى هائلة تسقط على من

الملب مات بصورة فجائية ، وأبدع الألباب التي يطرب لها الجمهور صراع ذلك النمر مع أسد كبير . وعرض على المدير أن ألبس جلد النمر السلوخ وأقابل الأسد في قفصه أمام المتفرجين ، وذلك مقابل دولار واحد عن كل حفلة . ودولار واحد حينئذ كان مبالاً لا يستهان به وخصوصاً بالنسبة لما أنا عليه من الفقر والاحتياج ... ولكن ... كيف أضحي بحياتي في سبيل دولار ؟

وأظن أن المدير شعر بما يجول في خاطري فجعل يطمئنني :

— لا تخف يا صاح ... إن أسدنا مسنّ وبليد الحركة وضعيف البصر وليس بإمكانه أن يحول رأسه نحوك . وأنا على يقين بنجاتك منه ونجاحك في التمثيل ... لا تخش شيئاً يا بني ... وعدا ذلك سنطمحه أكثر مما يجب ... إياك والخوف فليس عليك من بأس ، وإلا أفسدت الحفلة ... هيا بنا للعمل !

وبمثل هذه الكلمات أغرائني وزرع الخوف من قلبي انزعاجاً ، فدب الأمل في نفسي ورضيت بهذا العمل الشاق . فاقتراني المدير فوراً إلى إحدى غرف الملب ، وهناك تسلمني فئة من الرجال وكنت ساعتئذٍ فاقدة الإرادة تماماً أسير كالخراف المعدة للذبح فأدخلوني في جلد نمر وشرعوا يخيطنون جوانبه بمهارة فائقة تدعو للمجب ، وكأنهم اعتادوا هذا العمل . وخلال دقائق معدودة تحولت من بشر إلى حيوان مفترس شديد البطش . وبعد ذلك قادوني إلى قفص حديدي كبير رأيت في إحدى (٥)

أشتغل في معمل ورق عظيم الشأن . وفي أحد الأيام صدر مني تقصيراته جداً أدى إلى طردى وحرمانى من العمل . وكنت لا أملك شروى فقير وظللت أجوس الشوارع والأزقة متسولاً حيناً ، أو باحثاً عن عمل مهما ضؤل شأنه . وكنت حينئذ في شرخ الصبا متين البنية مفتول الساعد . بيد أنني يقيم الأم والأب ، عديم الأقارب والأصدقاء ؛ ولم يكن لي من معين سوى نفسى فكأننى خلقت لأتحمل مصائب الحياة وأرزاء القدر والتمست العمل أياماً وليالي عديدة فذهب تبى هباء وسمي سدى

جيت بلاداً حمة في طلب الرزق ولكن وأأسفاه

دون جدوى

وأخيراً ساقنى القدر إلى بلدة صغيرة تدعى (فرجينيا) وهناك قابلت رجلاً يدعى ملعباً عظيماً للحيوانات . وعرضت عليه أمرى فلم يأبه لي ولم يمن بمصيرى في اليوم الأول

وكانت حفلات هذا الملب المتنقل مدهشة للغاية وتدر على صاحبها الأموال الطائلة . ويحوى الملب أندر الحيوانات وأعجب المخلوقات وأجل الألباب وفي اليوم التالى ؛ قصدت المدير في غرفة عمله وكان على غير ما عهدته بالأمس فهو شاحب اللون مشوش اللب ، يفكر ... ويفكر ...

سأله ما به ، فأبى الكلام . ثم ألححت عليه بالسؤال فنطق بالحقيقة

وكان همه الوحيد لإيجاد رجل شجاع متين الأعصاب ليمهد إليه بلعبة خطيرة . وزعم أن نمر

أننى سأذهب ضحية من ضحايا الفقر والبؤس !
أخذ الحيوان يتمرغ على الأرض ، ويزأربصوت
عال مزعج ، وكان يضرب خشب القفص بمخالبه
ويسمى للوصول إلى شيئاً فشيئاً كأنه يريد إرهابي
وتمذيبي وقتلي قبل المراك بمشيته الوئيدة ...
أقيمت منكس الرأس أبتهل إلى الله أن يقبني شر
هذا الحيوان المقترس ... إلا أن الجمهور بدأ يصرخ
بأعلى صوته ، ويتهلف لرؤية الحركة الحاسمة ! وفي
النهاية ظهر العزم في عيني الأسد ...
ها هو ذا قد دنا مني ، وأصبح على قيد خطوة
وأنا ... وأنا ... لا أجرؤ أن أحرك ساكناً ...
لقد مس رأسي بأنفه .. بكاد أن يذيني بحمارة
أنفاسه — الآن — سيقضي على حياتي بضربة
واحدة ، أجل بضربة واحدة ... وأنا ...
وفي هذه اللحظة سمعت صوتاً إنسانياً صادراً
من الأسد :
— سه يا أحمق ... هل أعطاك ذاك المدير اللعين
كما أعطاني دولاراً أم أكثر ؟
« دمشق » محمد عصفور

زواياه أسداً هائلاً يغط في نوم عميق
وكان اللعب يبعج بالألوف من أهالي (فرجينيا)
وقد خدعوا بمظهرى الزيف إذ لم أكد أظهر أمامهم
حتى علا صييحهم وهتافهم . وقد بلغ الهياج والتصفيق
منتهاه ، ولكن قلبي كان طافحاً بالرعب والفرع ،
وجسمي بضطرب كالريشة في مهب الرياح . فجعلت
أنظر من خلال ثقبى العينين إلى الأسد الهادئ
الرزين ، فرأيت أنه لم يبال بحضورى ، فسررت في نفسي
غاية السرور ... إلا أن الأمر ويا للأسف لم يدم
طويلاً ، فقد شعر سلطان الوحوش بوجود خصم له
فرفع رأسه وحرك جسمه الكبير بتناقل ، ثم ثأب
أما أنا ... فقد أسندت رأسي إلى قضبان القفص
الحديدي خشية الوقوع على الأرض فاقد الرشد .
ونظرت حولي كمن يطلب المساعدة والنجدة . وأيقنت
أنى هالك لا محالة ، وقد حيل بيني وبين الفرار ،
وكان الخوف قد بلغ منى أشده ... يالهول الموقف !
وعلى حين غرة ، نهض الأسد الجبار بسكون
وحدق في بعيني المملوئين شراسة ووحشية ...
ياله من مخلوق جليل ! ...

لقد بدأ يقترب منى خطوة خطوة ... أردت
أن أصرخ وأستنجد ، وأنى لي الصراخ وقد بُح
صوتي ، واقتصر بدني ، واغتسل جسمي بالمرق
البارد ... عرق الموت ... وبدأت صور الماضي
وذكرياته تمر أمامي بسرعة هائلة ... فمجيت لربع
قرن تمضي في بضعة ثوان لا يتجاوز عددها الأصابع
وأخيراً ، استسلمت للقضاء والقدر ، وتركت
نفسي لقمة سائفة لهذا الوحش الكاسر ، وأدركت

أغلب مؤلفات
الاستاذ الدكتور
الاستاذ الدكتور
محمد عبد الله
مكتبة الرشد ، شارع الملك فيصل
دمشق